أخبار الخليج

العدد (17718) - السنة الحادية والخمسون - السبت 15 ربيع الآخر 1448هـ - 26 سبتمبر 2026م

أذرع إيران في اليمن والعراق.. هل أزفت نهايتها؟

لقد أثلجت الخارجية البحرينية صدورنا ببيانها الواضح والقاطع بعدم الحضور لمؤتمر مسقط وذلك لكون سياسة طهران لم تحترم حقوق الجوار ولم تراعِ أي معايير أخلاقية ولا إنسانية إلا تخَطتها من غير أي مبرر تجاه مملكة البحرين وإن الحضور والجلوس مع الإيرانيين على طاولة واحدة في مثل هذه الظروف من التعدي هي منقصةً يرفضها الحق البين كم ترفضها أنفة الرجال وذلك ما لم يتوقف الإيرانيون عن تكرار ذلك ويلتزموا به، وهي رسالة واضحة لطهران بأن مملكة البحرين وإن كانت صغيرة في المساحة إلا أن حكامها وشعبها كرام عزيزو الأنفس فسلمت يا بلادي وطاب ثراك (نعم يا موطني فإما حياة تُسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا)، وارجعوا معي إلى تطورات الأزمة الراهنة في المنطقة فسوف أتناول في هذا المقال دفع طهران لما تبقى من أذرعها للتصدي والحرب بالوكالة وهي محاولة لاستخدام آخر أوراقها الخارجية في النزال القادم وهذان المحوران هما محور الحشد التابع لها في معسكرات جرف الصخر بالعراق والمحور الثاني محور حوثي طهران باليمن، هذان المحوران المُشاكسان سوف تدفع بهما طهران في المرحلة القادمة وسوف يكون لمدى نجاح تأثيرهما من عدمه أثر بالغ لمسار الأحداث في المنطقة وفي تقديري أن فرصة نجاح تمددهما تكاد تكون معدومة فكل المؤشرات تشي بأن قرار تصفيتهما مُتخذ منذ فترة أمريكيًا وعلى مستوى حركة النظام الدولي وإجماعه غير المُعلن، كما من الواضح اليوم أن صانع القرار القابع في طهران يعلم أن المُنازلة المباشرة والنهائية مع الولايات المتحدة قد أزف أوانها وأن حظوظه بالانتصار فيها معدومة، ونتيجة لطريقة تفكيره وتعاطيه مع الأزمة فإنه من المؤكد سيدفع بأوراقه الخارجية للحرق بديلاً عنه وقبل الوصول إليه أو استسلامه بعد تصفيتهما، إن كماشة الحصار الاقتصادي الخانق الذي فرضه الرئيس ترامب ورجال حكومته على إيران سيُدمرها ويفككها من الداخل، وبسبب ألم الحصار والضربات العسكرية التي تلقاها وشلت حركته عن حماية أجوائه ومنجزاته الداخلية فإن أي مُتابع لقرارات طهران في التعاطي مع الأزمة يرصد الآن أن صانع القرار فيها فقد الاتزان والرؤية وإن تظاهر مُكابراً بعكس ذلك وهو يراهن فيما هو قادم على أسلوب توسيع رقعة تشظي الأزمة خارج حدوده وباستخدام أذرعه لتطال أكبر رقعة جغرافية ممكنة في المنطقة وخارجها، ومن ذلك جاءت تطورات موقف مليشيا الحوثي التي لا تتحرك إلا بإذن من طهران، لكن المشهد في اليمن حصلت فيه مفارقة غريبة فبعد تقدم قوات الشرعية وملاحقتها لأتباع طهران في كل المحاور فوجئنا بتقدم الحوثي في الساحل وسيطرته على المخا وميناءها وقد صار يطل بشكل كبير على باب المندب والمفارقة هنا أن ذلك التقدم في هذا المحور لم يتم من خلال المواجهة والانتصار من قبله ولكن ذلك التقدم تحقق بسبب انسحاب فوج المغاوير من مواقعه وإعادة تموضعه في مواقع أخرى مما أدى لسيطرة مليشيا الحوثي على المخا، ونحن هنا أمام احتمالين أحدهما وهو الأقوى في تقديري أن إيران واتباعها الحوثيين قد بلعوا الطعم وإن ما هو قادم سيكون وقت حصاد الرؤوس التي باعت أُمتها وأوطانها للإيرانيين وأطماعهم التاريخية تجاه العرب، والاحتمال الثاني وهو مُستبعد أن تكون قد حصلت خيانة وتآمر على جهود الشرعية اليمنية في استعادة قرار سيادتها على اليمن، إن طهران أرادت من خلال تحريك الحوثي للسيطرة على الساحل أولاً: محاولة تهديد المملكة العربية السعودية ومقدسات المسلمين وثانيا: التلويح بقدرتها على استلاب مضيق باب المندب وزيادة تشظي الأزمة، وفي كلتا الحالتين ستخفق وتصفع في ذلك، فالمملكة هي منبع الشرعة الخاتمة وبلد واجهة في الحضور الوجداني والدولي وهي تكتسب مكانة عالمية عالية على مستوى العالم الإسلامي ومشاعر أفراده وكذلك على مستوى الحضور الدولي وذلك لكون سياستها صادقة وبالغة التوازن وهو ما يجعل صناع القرار في دول العالم يميلون إلى تقديرها والميل إلى مواقفها، لقد أثبتت المملكة العربية السعودية رشداً سياسياً بالغا في تعاطيها مع الأزمة، إذ إنه لطالما حاولت طهران جرها لأتون هذه الحرب لكن المملكة لم تنجر رغم كونها قادرة على الرد العسكري الموجع، ولكنها عندما صفعت ضربت ضرب ملوك قواطع فسعت إلى إنشاء تحالف دفاعي استراتيجي مع أقوى

بقلم:
حسن الأسود

دولتين في العالم الإسلامي وهو ما قطع الطريق أمام وساوس طهران وأطماعها المُبيتة ومن المؤكد أن ذلك زاد من تيه قرار طهران وأحقادها التاريخية على الإسلام وموقع نزوله وحاضنته الأولى سلوكيا وعقائديا المملكة العربية السعودية، وما هو حاصل اليوم من تعدٍّ على البيت العتيق مكة المكرمة يُلزم الحكومات العربية والإسلامية بأن يكون لها موقف واضح من طهران فكل الأمور اتضحت ولم تعد تنفع التورية فبعد أن كان الحوثيون يُنادون ليل نهار بالموت لأمريكا والموت لإسرائيل والصهيونية العالمية ها هم اليوم يتصلون بالأمريكان والبريطانيين وحتى إسرائيل إن اقتضت الأمور لاسترضائهم واعتبار سفنهم غير معنيةً بما هو حاصل من هذا الإطلال على المضيق وإن المقصود بالمُعاداة هنا هي المملكة العربية السعودية والبيت الحرام مكة المكرمة مباشرةً وهذه التطورات وراءها إيران فالتاريخ يُعيد نفسه فبالأمس تواصل الفرس مع قائد الحملة البرتغالية لخنق العرب في الجزيرة العربية وهدم البيت الحرام وهاهم اليوم تتعرى وجُوههم للتأكيد للغرب أنهم قادرون على ضرب الإسلام في مقتل، وهذه المُغازلة وبهذه الطريقة من طهران للأمريكان والبريطانيين توضح جليًّا عداء ملالي إيران للإسلام والمسلمين وخصوصا منهم العرب فبعد التعدي على مكة المكرمة لم يعد هناك شيء خافيا عن مقاصد القوم وما يسعون إليه منذ سنوات من عمل حثيث للوصول إلى بيت الله العتيق قبلة المسلمين، ونحن هنا نستغرب من مواقف منظمة التعاون الإسلامي بصمتها ومجاملتها لملالي إيران وأطماعهم الخبيثة فماذا ينتظرون لاتخاذ قرار عزل طهران من دائرة منظمة التعاون الإسلامي أم أنهم ينتظرون لا قدّر الله أن يُنقل البيت العتيق إلى صعدة الحوثي ويصبح تحت إشراف طيالسة الفرس مباشرةً، فإيران ومنذ تحولها لم تعمل يوما بمبادئ الإسلام ولم تلتزم بمفاهيمه وإنما كانت هي الأخطر فعلاً على الإسلام وذلك من حيث تغيير مقاصد ومفاهيم التنزيل القرآني وإن تشدقت بتلاوته فهذه الدولة وجوهرها المجوسي ترى في الإسلام الخطر على هويتها وكيانها وهي تتربص بالعرب كل ما تهيأت لها الفرصة عبر التاريخ وهو الأمر الذي يجعلها مفضلة لدى أبالسة الغرب لضرب الإسلام من الداخل وقتل مفهومه وروحه العربية، ولفهم نظرة الصهيونية العالمية إلى الإسلام عامة والعرب خاصة انظر(كتاب الإسلام المتعب، لمؤلفهJacob Don) وكذلك كتاب (استهداف أهل السنة، لمؤلفه المفكر الماروني اللبناني نبيل خليفة) وستتضح لك صورة خِشية الصهيونية وإيران من نهوض الإسلام العربي السني، فإلى متى يا منظمة التعاون الإسلامي سيكون موقفك غير واضح وصارم من إيران وأتباعها؟ أمّا عن المحور الثاني لمقالنا وهو محور مليشيات العراق فإن المؤشرات تشي بتراجع الحكومة العراقية عن تعهدها الذي قطعته للولايات المتحدة بالالتزام بنزع سلاح تلك المليشيات بحلول الثلاثين من هذا الشهر فبعد تأكيد سحب سلاح تلك الفصائل وحصر السلاح بيد الدولة فقط بحلول ذلك التاريخ تراجعت الحكومة وطلبت مهلة إضافية لتمديد التوقيت المتوافق عليه وفي تقديري ذلك التسويف والمماطلة له علاقة مباشرة بزيارة رئيس فيلق القدس إسماعيل قادني ومن بعده قالي باف للعراق، وإننا لنستغرب من الموقف الأمريكي تجاه العراق فمنطقة جرف الصخر المعروفة بكل تفاصيلها هي معسكر إيراني مدجج بتصنيع السلاح الإيراني والتحصين داخل العراق وإن الجيش العراقي نفسه يعجز عن الاقتراب من تلك المنطقة وقد تم ذلك تحت وطأة ومدارات أمريكية من قبل الحكومات السابقة للولايات المتحدة.

تحية للسعودية في يومها الوطني

بقلم:
د. نبيل العسومي

تحتفل الشقيقة الكبرى المملكة العربية السعودية يوم 23 سبتمبر من كل عام منذ عام 1932 بذكرى توحيد وتأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه، ففي هذا اليوم المجيد في تاريخ المملكة العربية السعودية يتذكر المواطن السعودي ونحن مواطني دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي وأشقاء وأصدقاء السعودية بكل الفخر والاعتزاز البطولات التي سطرتها المملكة في سبيل توحيد المملكة بقيادة الملك عبدالعزيز آل سعود، التي أثمرت إعلان تغيير اسم المملكة من المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها إلى المملكة العربية السعودية.

في هذا اليوم المشهود من تاريخ المملكة العربية السعودية ومنذ تلك اللحظة سعت المملكة العربية السعودية إلى استكمال متطلبات التأسيس في دولة القانون والمؤسسات التشريعية بمبايعة من مختلف مكونات المجتمع السعودي في مختلف مناطق ومدن وقرى المملكة وتأييدها ودعمها للملك عبدالعزيز آل سعود.

وتقديرا للمملكة العربية السعودية واحتراما لمكانتها تشارك الدول الخليجية والعربية والإسلامية والصديقة المملكة وشعبها الشقيق أفراحهم وابتهاجهم باليوم الوطني المجيد، فتتزين الشوارع والطرقات والمدن في البحرين والعديد من المدن العربية والإسلامية والصديقة باللون الأخضر رمزا للعلم السعودي المتزين بشهادة لا إله إلا الله، تعبيرا عن المكانة الرفيعة والمرموقة التي تحظى بها المملكة العربية السعودية على مختلف المستويات الإقليمية والدولية، حيث تخصص القنوات الفضائية والإذاعات اللقاءات والبرامج التي تتناول فيها تاريخ المملكة العربية السعودية والإنجازات التي حققتها وجهودها الإقليمية والدولية للمحافظة على الأمن والسلم الدوليين، كما تتناول الصحافة الخليجية والعربية والدولية في صدر صفحاتها الأولى إنجازات السعودية في مختلف المجالات، حيث تتحول هذه الذكرى إلى مناسبة لاستحضار الذاكرة الوطنية السعودية وقيام الدولة السعودية الحديثة التي تحولت إلى عنوان في مختلف وسائل الإعلام ومادة تدرس في المناهج الدراسية.

إن مشاركة المملكة العربية السعودية فرحتها ببيومها الوطني تنبع من القلب لتجديد الشكر والامتنان للمملكة على دعمها ومساندتها للقضايا العربية والإسلامية، وعلى اياديها البيضاء الممتدة للجميع ومساعداتها السخية للشعوب والدول في مختلف القارات، التي يشهد لها الجميع في إطار النهج الذي تسير عليه المملكة وتحمل واجبها تجاه الاشقاء والأصدقاء في الامتين العربية والإسلامية.

ولا شك أن احتفالات المملكة العربية السعودية الشقيقة تأتي في ظل الإنجازات التي حققتها المملكة في هذا العهد الزاهر لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، بدعم ومساندة من صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، حيث تم تخصيص الموازنات الضخمة لتنفيذ العديد من المشاريع الكبيرة لتنمية المجتمع السعودي وربط المدن والقرى السعودية بشبكة مواصلات متطورة وإنشاء المستشفيات والمراكز الصحية وبناء المدارس والمشاريع الإسكانية لتوفير حياة كريمة للمواطن السعودي مستفيدة من الثروة النفطية التي حباها الله بها.

وعلى المستوى الدولي تنتهج المملكة العربية السعودية سياسة متوازنة قائمة على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وفق مبادئ القانون الدولي، وتدعم قضايا السلم والأمن في العالم وتتبنى القضية الفلسطينية في المحافل الإقليمية والدولية وإقامة علاقات تراعي المصالح المشتركة.

ونحن في مملكة البحرين يجمعنا مع المملكة العربية السعودية التاريخ المشترك والعلاقات الاجتماعية والأسرية والمصير الواحد، فكل عائلة بحرينية لها أقارب في المملكة العربية السعودية، والعكس أيضا فإن كل أسرة سعودية لها أقارب في مملكة البحرين. ويبقى صرح جسر الملك فهد الذي يربط السعودية بالبحرين شاهدا على عمق العلاقات المتجذرة منذ القدم بين البلدين والشعبين الشقيقين، كما لا ننسى موقف المملكة العربية السعودية الصلب الداعم والمساند للبحرين خلال الاحداث التي شهدتها البحرين في عام 2011 عندما تعرضت بلادنا لمؤامرة خبيثة استهدفت أمننا واستقرارنا وسيادتنا الوطنية.

وبهذه المناسبة السعيدة علينا جميعا نتقدم بخالص التهاني والتبريكات لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولصاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء وللشعب السعودي الشقيق، متمنين للمملكة العربية السعودية المزيد من النجاحات والإنجازات لما فيه رفاهية الشعب السعودي. وكل عام والمملكة وقيادتها وشعبها بألف خير.

حصاد ثلاث سنوات من الحروب في الشرق الأوسط

تقترب الحروب المتواصلة التي اشعلتها إسرائيل في الشرق الأوسط من إكمال عامها الثالث، فالحرب الوحشية على قطاع غزة مازالت فصولها مستمرة حتى هذا اليوم، فيما لا أحد بإمكانه أن يتوقع متى ستتوقف، أو تنطفئ نارها، وعلى أي شكل أو نتيجة، بما يعني أو يؤكد أن هذه الحرب لم تكن مثل الحروب العديدة التي عرفناها هنا في المنطقة العربية، التي كانت إسرائيل دائماً أحد طرفيها، فيما تعدد الطرف الآخر، فحيناً كان ست دول عربية، كما حدث ذلك في حرب 1948، أو ثلاث دول عربية، كما في حرب 1967، أو دولتين عربيتين، وكان ذلك عام 1973، أو ضد الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية 1982، أو ضد «حزب الله» بعد ذلك عام 2000، وعام 2006.

هذه الحرب مختلفة من عدة زوايا عن كل الحروب التي سبقتها، فهي تعتبر أطول حرب خاضتها إسرائيل ضد العرب، وكانت أطول حرب قبل ذلك قد خاضتها ضد الثورة الفلسطينية عام 1982 في لبنان، واستمرت 88 يوماً، كذلك شهدت هذه الحرب دخول الداخل الاسرائيلي ميدان الحرب، سواء في اليوم الأول، يوم الطوفان، أو بعد ذلك من خلال صواريخ حماس، أو صواريخ «حزب الله» والحوثيين ومن ثم إيران ومسيراتهم، وبذلك شهدت سقوط ضحايا مدنيين إسرائيليين، وتعرض إسرائيل لتدمير كثير من المنشآت المدنية إلى جانب العسكرية بالطبع، كما أن إسرائيل في هذه الحرب واجهت أكثر من ثلاث جبهات معاً، وهذا أمر واجهته من قبل في عام 1948 فقط، مع هذا فقد كان أهم تطور لصالح إسرائيل هو دخول أمريكا بشكل عسكري ومباشر معها الحرب، وذلك في مناسبتين، في يونيو من العام الماضي 2025، وإن كان ليلة واحدة، حين قصفت الطائرات الشبح الأمريكية مفاعلات تخصيب اليورانيوم، وخاصة في «فوردو»، وفي 28 فبراير الماضي، حيث واصلت أمريكا مع إسرائيل حرباً قاسية ضد إيران مدة ستة أسابيع تقريباً، بينما لم تضع الحرب أوزارها بعد، وإن كان من الممكن القول إن وجهتها أو طبيعتها، بما يحتمل تجددها، وحتى بدرجة أوسع، أو إعلان إنهائها وذلك بعد انتخابات الكنيست الإسرائيلي وانتخابات الكونجرس النصفية الأمريكية، أمر وارد.

والحقيقة أنه بعد حرب قاسية استمرت أكثر من أربعين يوماً، وكان ذلك في ابريل الماضي، شهدت حالة الحرب حدثين مهمين، أولهما توقيع وثيقة التفاهم بين أمريكا وإيران في يونيو، ثم إعلان عملية «المنبوذ الاقتصادي» الأمريكية ضد إيران، فيما كانت إسرائيل قد أجبرت على وقف إطلاق النار ضد إيران منذ أبريل، بينما واصلته ضد لبنان رغم اتفاقية 2024، وكذلك في غزة رغم مبادرة ترامب عام 2025، ولأنه عادة لا يقوم أحد بمراجعة نتائج الحرب، أو إعلان حصادها قبل انتهائها أو وقفها رسمياً، إلا أن الحصاد الذي تحقق حتى اللحظة، إضافة إلى محطتي الانتخابات الإسرائيلية والأمريكية، التي من المرجح أن تؤثر بشكل حاسم على الحرب لجهة وقفها تماماً، أو تجديدها بشكل أوسع، يمكن التوقف أمامه والنظر إليه، ارتباطاً بما تحقق من مواجهة عسكرية حتى الآن، بعد مرور ثلاث سنوات، ومقارنة ذلك الذي تحقق بأهداف الحرب المعلنة وحتى المضمرة، وخاصة من قبل الجانب الإسرائيلي/الأمريكي.

لا بد من الإشارة أولاً وقبل كل شيء إلى أن الطرف الإسرائيلي/الأمريكي لم يحقق أهدافه الرئيسة منها على الأقل، وإلا لكانت الحرب قد توقفت منذ زمن، ولو كان كل من دونالد ترامب وبنيامين نتنياهو صادقين حين قالا إنهما دمرا معظم قوة إيران العسكرية، وأوقفا برنامجها النووي وأعاداه سنين طويلة إلى الوراء، لتوقفت الحرب، ولأعلنا انتصارهما بعد حرب الإثني عشر يوماً، لكن شنهما حرب الأربعين يوماً لم يكن بسبب عدم سقوط النظام الإيراني، ولا بسبب عدم استسلام إيران من دون شروط، ولكن لأن أياً من أهدافهم الرئيسة، سواء الخاص باليورانيوم

بقلم:
رجب أبو سرية ○

المخصب، أو الصواريخ والمسيرات، أو أذرع المليشيات العميلة لإيران في المنطقة، لم يتحقق، لكن ذلك لم يعن بأي حال أن جبهة أو جبهات الخصم لم تلحق بها الخسائر، وأن عدم سقوطها أو استسلامها، لا يعني أنها لم تخسر الكثير من القتلى، أو أنها لم تتعرض للدمار والخسائر الاقتصادية.

فيما يخص جانب الضحايا وقعت في جانب إيران وأتباعها خسائر بشرية أضعاف ما وقع على الجانب الإسرائيلي ومن ثم الأمريكي بالطبع، ويعود ذلك بالطبع إلى أمرين، هما: إدخال المدنيين ميدان الحرب، وجعلهم أهدافاً للقتال، ثم فارق القوة النارية، أو الإمكانيات العسكرية على مستوى التدمير، حيث الفارق شاسع لصالح الطرف الإسرائيلي الأمريكي الذي لديه كم هائل على كل الجبهات على هذا الصعيد، وقد ألقى أطنان المتفجرات على مواقع ومبان وبنى تحتية في كل جبهات الجانب الآخر من الحرب.

كذلك كان هناك عدم تماثل في الخسائر الاقتصادية سواء المنظورة منها، أو بعيدة المدى، ويمكن الإشارة هنا إلى تقديرات المؤسسات الدولية لما يحتاج إليه قطاع غزة من مليارات لإعادة الحياة الطبيعية، فضلا عن المدى الزمني، الذي يتجاوز سنين قد تصل إلى خانتين، لإعادة ترميم القطاع، هذا في حال توافر المال المرجح أن يكون مستحيلاً، أصلاً، لإعادة الإعمار، كذلك يمكن القول إن خسائر إيران ولبنان بسبب الدمار في المنازل والبنى التحتية وتعطل الاقتصاد هي مليارات تتجاوز المئات منها، أما على صعيد الخسائر البشرية والاقتصادية على الجانبين الإسرائيلي والأمريكي فإن الخسائر كانت أقل بكثير، يكفي أن نشير إلى أن أقل من ألفي قتيل سقطوا على الجانب الإسرائيلي، أما أمريكا فلم يكن شعبها ولا بلادها ضمن ميدان الحرب، وقد خسرت أقل من عشرين قتيلاً فقط.

أهم الخسائر في ميدان القتال على الجانب الإسرائيلي–الأمريكي كانت في الذخيرة والعتاد، وقد واصل المتابعون الحديث الذي مازال متواتراً عن نفاد المخزون الأمريكي الاستراتيجي من الصواريخ وخاصة منظومة صواريخ ثاد وباتريوت.

ثم كانت الخسائر السياسية على الجانب الإسرائيلي–الأمريكي فادحة، فلم تتعرض إسرائيل منذ قيامها ولم تتعرض دولة أخرى لما تعرضت له من إدانة ورفض وحتى إجراءات سياسية من قبل كل العالم، باستثناء البيت الأبيض فقط، وإذا كانت إسرائيل هي التي أعدت الظروف منذ ثلاثين سنة لانفجار الطوفان، وذلك بهدف تحويل الحرب إلى حرب لإقامة إسرائيل الكبرى، فقد فشلت في هذا تماماً، وحتى ما يدعيه قادة الحرب الإسرائيليون من إنجازات تتمثل في المناطق الأمنية في غزة ولبنان وسورية هي نتائج غير نهائية، أما أمريكا فهي لم تحقق هدفها الأهم وهو تعزيز نظامها العالمي بالسيطرة على نفط الشرق الأوسط، والتحكم بالطاقة التي تستهلكها الصين ودول شرق آسيا وغرب أوروبا، ولم تفشل في تعزيز مكانة إسرائيل الشرق أوسطية بتدمير برنامج إيران النووي وقتها وتحطيم حلفائها، فحسب، بل هي خسرت رصيدها في المنطقة.

○ كاتب من فلسطين.

نبلاء من طراز نادر في حياتنا

ثمة أشخاص في حياتنا لا ننتبه، في الغالب، إلى مقدار الثقل الذي يحملونه. نعرفهم بوصفهم أول من نلجأ إليه حين تضيق بنا الحياة؛ نبحث عنهم عندما نعجز عن فهم أنفسنا، أو نحتاج إلى كلمة تعيد ترتيب الفوضى داخلنا، أو إلى حضن أو كتف معنوية نضع عليها شيئًا مما أثقل ظهورنا من حيرة وخيبة وانكسار. نخبرهم أسرارنا، ونترك بين أيديهم تفاصيل أتعبتنا، ثم نغادرهم أكثر خفة وهدوءًا مما جئنا.

لكننا نادرًا ما نتوقف لنسأل أنفسنا: إلى أين يذهب هؤلاء حين تتداعى أرواحهم ويثقلهم ما يحملون؟ ومن يحمل عنهم ما حملوه طويلًا عن الآخرين؟

هؤلاء ينتمون إلى طراز نادر من البشر؛ يغدون، بتلقائية آسرة، وجهةً أولىً في كل مأزق، وحضورًا دافئًا في لحظات الانكسار. يصغون أكثر مما يتحدثون، ولا يثقلون عليك بالأسئلة، ولا يشرعون في إطلاق الأحكام؛ بل يحتوون الروح قبل أن يقضوا في الأمر. ينشرون النور والطمأنينة، ويمنحون الآخرين ملاذًا، ويهبون الأمان بالمجان، من دون أن يطالبوا العابرين بصكوك تفسير لمشاعرهم.

أمامهم، تُذرف دموعك من دون أن تضطر إلى التبرير، وتخلع درعك الوهمي آمنًا من سوء الفهم، وتبسط مخاوفك وألمك وهشاشتك من دون خوف أو شعور بأنك موضع إدانة، ومن دون وجل من سوء التأويل. بين أيديهم، يمتد صمتك من دون مطاردة بالتفسير، وحين تقول: «لا أعرف»، لا ينتقص ذلك من مكانتك ذرة، ولا تتلقى تلك النصيحة الباردة التي تحثك على الصمود والصبر والتحلي بالقوة؛ بل يتركونك تعيش ضعفك بسلام، من دون أن يجلدوا لحظاتك الواهنة.

بقلم:
فاطمة الحجري ○

ثمة شيء عميق في مسألة أن يكون الإنسان ملاذًا؛ أن يستطيع ممارسة الاحتواء النفسي وإعادة التوازن، فيمنح الأمان والسكينة لأنه يعرف تمامًا مرارة الخوف والضعف، ويهب انشراح الصدر لأنه اختبر ألم الشتات.

غالبًا ما يمنح الإنسان ما افتقده يومًا، ويعرف كيف يربّت على موضع الألم لأنه ذاقه، وكيف يهب السكون لأنه يعرف جيدًا مرارة الخوف والضياع؛ ويفتح نافذة في جدار الاختناق لأنه اختبر معنى أن تضيق الحياة من الداخل.

لكن المفارقة أن الذين يحملون أثقال الجميع يتوارون عن الأنظار لحظة انكسارهم؛ فيلجؤون إلى الصمت أو العزلة، لا لأنهم أقوى من الألم، وإنما لأنهم اعتادوا أن يكونوا الطرف الذي يُعتمد عليه، وكأنهم يبحثون عن ملاذ لا يجدونه.

والمعضلة هنا لا تكمن في كونهم ملاذًا للآخرين، بل في أن أحدًا لا ينتبه إلى حاجتهم إلى أن يكونوا هم أيضًا موضع فهم واحتواء؛ وأن يُقرأ صمتهم كما تُقرأ كلماتهم، وأن يُمنحوا الدفء قبل أن تضطرهم الحاجة إلى طلبه. إنهم المفارقة الأكثر إيلامًا: أولئك الذين أتقنوا أن يكونوا موطن الاحتواء للجميع، بينما ظلوا هم عالقين بصمت، من دون أن يجدوا من يمنحهم الملاذ والملجأ.

وفي نهاية المطاف، يمارسون طقس الاحتواء الأخير: أن يكونوا هم الملاذ لأنفسهم، بعدما أمسى كلٌّ منهم ملاذًا يستنزف نوره ليضيء عتمة الآخرين، معرّضًا لانطفاء مكتمل لا يُسمع له صوت.

○ صحفية بحرينية.